المحاضرة الثالثة: لسانيات النص المفهوم والأهداف

تعدّ لسانيات النص حقلا معرفيا جديدا ضمن الحقول المعرفية الأخرى التي اهتمّت بالظاهرة اللغوية، تعود إرهاصاته إلى النصف الثاني من الستينيات وبداية السبعينيات، وقد جاء ليكون بديلا لمناهج التحليل اللسانية التى سبقته فيكمل ما عجزت عنه، محولا بذلك الدراسة اللسانية من محورية الجملة إلى النص، أي من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص ليصبح بذلك النص الوحدة اللغوية الكبرى في التحليل، هدفه هو وصف ودراسة الأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة الأشكال للتواصل النصي ، ويعرّفه صبحي إبراهيم الفقي بأنّه: " فرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمّها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة المرجعية وأنواعها والسياق النصي، ودور المشاركين في النص، وهذه الدراسة تتضمّن النصوص المنطوقة والمكتوبة ... و تؤكّد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد" ، ومن ثم فإن كثيرا من الظواهر تعالج في إطار الوحدة الكبرى للتحليل.

إذن لسانيات النص منهج لساني يتخذ النص وحدة للتحليل بدلا من الجملة، بالتركيز على كيفيات انتظامه واتّساقه، أي أنّها تبحث عن الآليات الشكلية والدلالية التي تسهم في بناء النص، كما أنّ الإحاطة بسياقات النص الخارجية لها دور كبير في ايضاح دلالاته وبذلك يتحقق انسجام النص.

بناء على ما سبق يمكن القول أن هذا العلم يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية ، ويحاول أن يقدم سياقات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها وبعبارة موجزة قد حددت للنص مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها بدقة إذا التزم حد الجملة.

ومما يُستنتج من هذا التعريف أن لسانيات النص لها قواعدها التي تميّزها عن العلوم الأخرى، باعتبارها لم تقتصر في الدراسة على البنية الشكلية المجسدة في الاتساق وأدواته، بل اهتمت أيضا الجانب الدلالي الذي اصطلح عليه بالانسجام، مادام أنّها تنظر إلى النص باعتباره الوحدة الكلية الكبرى للتحليل.

وبعد ذلك بين لنا **بحيـري** أنواع الظواهر التركيبية التى تدرس في لسانيات النص بقوله: " لقد عني علم اللغة النصي في دراسته نحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة، منها: علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية، والتراكيب المجتزأة وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى ضمير، والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية،

وغيرها من الظواهر، التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلا من خلال وحدة النص الكلية".

وبهذا يكون هدف لسانيات النص هو تحليل البنى النصية واستكتشاف العلاقات النسقية المفضية إلى اتساق النصوص وانسجامها والكشف عن أغراضها التداولية، إذ يرى **صبحي إبراهيم الفقـــي**، أن مهام لسانيات النص تتجلى في إحصاء الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل، ويتحقق هذا الأخير بإبراز دور تلك الروابط في تحقيق التماسك النصي مع الاهتمام بالسياق وأنظمة التواصل المختلفة.

فمن أهم ملامح لسانيات النص دراسة الروابط مع التأكيد على ضرورة المزج بين المستويات اللغوية المختلفة، وهذا بالاتساق الذي يتضح في تلك النظرة الكلية للنص برصد العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة التي تحكم تماسك النص، والتي تنبئ عن ذلك الترابط العميق بين الوحدات الجزئية، دون فصل بين هذه الأجزاء.

فلسانيات النص تراعي في وصفها وتحليلاتها عناصر لم توضع في الاعتبار من قبل، وتلجأ في تفسيراتها إلى قواعد تركيبية، وقواعد دلالية ومنطقية، بحيث تسعى إلى تحقيق هدف يتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد إنتاج النص؛ إذ لم يعد الاهتمام مقتصرا على الأبعاد التركيبية للعناصر اللغوية في انفرادها وتركيبها، بل لزم أن تتداخل معها الأبعاد الدلالية والتداولية، حتى يمكن أن تفرز نظاما من القيم و الوظائف التي تشكل جوهر اللغة، إذ ليس من المجدي الاهتمام بالوصف الظاهري للمفردات، وأبنية تتضمن في أعماقها دلالات متراكمة نشأت عن استخدامها وتوظيفها في سياقات ومقامات متعددة.

ويرى **دي بوجراند**أن العمل الأهم للسانيات النص هو دراسة مفهوم النصية **"Textuality"** من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النص.

وهكذا يكون تميز لسانيات النص في اتساع مجال الرؤية بأنها تنطلق من دلالات عامة تتجاوز الجمل إلى وحدات نصية كبرى، لأن هدفها تحديد الوسائل التي مكنت من ربط الجمل وشكلت منها وحدة دلالية متلاحمة الأجزاء عن طريق تحديد العلاقات المتشابكة بين عناصر البنية الكبرى، التي تؤدي إلى إنتناج الدلالات التعبيرية للتراكيب.

لذلك كان من أسباب اللجوء إلى الدراسة النصية، هو أن أوجه الترابط التي أفرزتهاالتحليلات على مستوى الجملة لم تعد كافية لتغطية مستوى النص وإيجاد العلاقة بين فقرة وفقرة، ونص ونص، وهكذا يبرز عند النظر إلى السور القرآنية،

فلا يمكن إدراك هذه الصلة والترابط من خلال نحو الجملة، بل النظرة النصية كما هي بمفهومها الواسع.

وهكذا يكون تميز لسانيات النص في اتساع مجال الرؤية، بأنها تنطلق من دلالات عامة تتجاوز بها الجمل إلى وحدات نصية كبرى، لأن هدفها هو تحديد الوسائل التي مكنت من ربط الجمل والوصول إلى وحدة النص.

إذن لسانيات النص جاءت لتثبت نصية نص ما من عدمها، إذ تفيدنا في التفريق بين ما هو نص يعتمد في الدراسة والوصف والتحليل، وما هو ليس بنص، فهي بمثابة غربال يكشف به ترابط النص في وحدة علائقية، تلتحم أجزاؤه لتشكل لنا وحدة كلية شاملة، أو يبين لنا عدم الترابط والالتحام بين هذه الأجزاء والوحدات.

المحاضرة الرابعة: التماسك النصي مفهومه وأدواته

من أهم الظواهر التى تتجاوز إطار الجملة المفردة، و التى اهتم بها علم النص ظاهرة " التماسك النصي " التى تقوم على التصور الذى يجمع عناصر نحوية تقليدية مع عناصر مستقاة من علوم متداخلة مع النحو، وقد تم التمييز بين نوعين من الربط؛ أما أولهما فتحققه أدوات الربط النحوية(الروابط)، وأما ثانيهما فتحققه وسائل دلالية، وإذا كان النوع الأول للترابط أو ما يعرف بالاتساق يظهر في المستوى السطحي للنص من خلال الجمل فإن النوع الثانى والذي يعرف بالتماسك أو الانسجام يظهر في المستوى العميق للنص حيث تتضح طرق الترابط التى ربما لا تظهر على السطح.

وبناء على ما سبق فإن النوع الأول (الاتساق) له طبيعة خطية أفقية تظهر في مستوى تتابع الكلمات والجمل المسئولة عن تكوين سياق نصى معين يساعد على تفسير التراكيب داخل النص، وأما الثاني فله طبيعة دلالية تجريدية تتجلى فى علاقات وتصورات تعكسها الكلمات والجمل يحتاج استخراجها ووصفها إلى قدرة معينة ومعرفة واسعة، ونحدد مظاهر الترابط النصي في الشكل التالي:

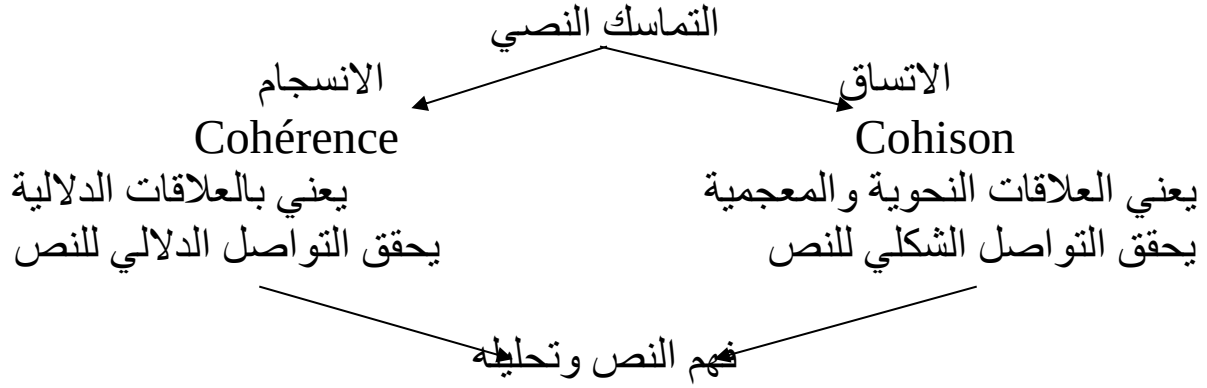

مظاهر التماسك النصي

يقوم الربط النحوي على فهم كل جملة فى النص من خلال فهم الجمل الأخرى، ومن العوامل التى تحقق الترابط فى المستوى السطحى ما يعرف بالمؤشرات اللغوية مثل: علامات العطف والوصل والفصل وأسماء الإشارة وغيرها فلها وظيفة مشتركة فى إبراز ترابط العلاقات السببية بين العناصر المكونة للنص فى مستواه الخطى ، أما التماسك الذى يعنى الوحدة والاستمرار فيقوم على قواعد وابنية تصورية تجريدية ... وهذا النوع من التماسك يحتاج إلى

كفاءة عالية للمفسر ودراية واسعة، حيث يتجاوز هذا التماسك الدلالى الأبنية النحوية للنص، إذ قد نجده فى الحالات التى يظهر فيها النص مفككا من السطح لكنه فى حقيقة الأمر متماسكا في بنيته العميقة.

اختلف العلماء فى تسمية بعض المفاهيم التى تعمل على إبراز التماسك الدلالى الذى أطلق عليه "فان ديك "البنية الكبرى للنص" ويقصد بها البنية التجريدية الكامنة التى تمثل منطق النص، أما غريماس فسماها "البنية العميقة الدلالية" ففان ديك يرى أنه يجب البحث فى العلاقات التداولية للاداءاللغوى على اساس نحو النص و نحو الجملة، أي أن التواصل لا يتحقق إلا من خلال النص الذي قد يتكون من جملة واحدة أو كلمة واحدة.

إن الإدراك الكلى للنص لا يحدده الخواص المنفصلة للأبنية الصغرى (الجمل) بل يتحدد من خلال تجاورها فى التحليل من أبنية النص الكبرى حيث ترتبط كل بنية بنوع التماسك الذى تؤديه فى بنية النص الداخلية أو الخارجية، ويحتاج النص إلى التماسك الدلالى أكثر من العمليات التداولية بين الوحدات التعبيرية المتجاورة داخل النص، ويتحدد على مستوى الدلالات كما يتحدد على مستوى المدلولات .

ولهذا ينطلق أغلب علماء النص من الجملة لتحليل الترابط النصى باعتبارها جزءا داخل كل منسجم متماسك ، ذلك أن فصلها يؤدى إلى فهم جزئى لمل تحمله من دلالات قد تحقق امتدادا داخل المجموع أو تتغير جزئيا أو كليا وفق دلالات الجمل الأخرى ولهذا وضع نحو خاص بالنص ودلالة تتجاوز دلالة المفردات والجمل، ذلك أن التماسك النصى لا يتحدد على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات والجمل فحسب بل يتحدد كذلك على مستوى البنية الكبرى للنص باعتبارها عملا كليا يحدد معنى النص، فهي ترتبط بالموضوع الكلي له.

لاشك أن لسانيات النص تتعامل مع النص على أنَّه وحدة كلية، ولذلك كان المدخل إلى دراسة الترابط النصي الوقوف على الخواص التي تؤدي إلى تماسكه، وتعطي تفصيلا لمكوّناته التنظيمية النَّصية، ويتحقَّق ذلك بالتركيز في المستوى الأول على التَّلاحم بين أجزاء النص، وروابطه الداخلية، وهذا ما أدَّى بكثيرٍ من الباحثين المهتمين بالدراسات النصية إلى توجيه الأنظار إلى أحد الآليات المهمة في ترابط النصوص وتعالقها، وهي آلية الاتساق التي تعدُّ من أهمِّ الآليات المتحكِّمة والمساهمة في دراسة بنيات النص، وإبراز مواطن تحقق الترابط فيه من عدمها.